سعادة الدكتور

عبد الرحمن بن حمود السميط

الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية

لخدمة الإسلام

لعام 1416هـ / 1996م

صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء

ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

أصحاب السمو الأمراء

أصحاب الفضيلة والمعالي السعادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد مرت الأمة الإسلامية منذ عهد النبوة بمراحل انتقلت فيها من العزة والريادة والقيادة إلى فترات من الضعف والتراجع الحضاري، وانطبقت عليها بذلك سنن الله عز وجل، التي لا تقبل التبديل ولا التحويل، حتى تداعت عليها الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها.

وإن من يطالع مؤشرات التخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي التي تطبع المجتمعات الإسلامية اليوم، لابد أن يصاب بالذهول لبشاعة أوضاع معظم سواد هذه المجتمعات في أرزاقها وصحتها وتعليمها وتربية أجيالها.

وإنه ليحزن كل مؤمن غيور أن يطالع أرقام ما تحت خط الفقر، فيعلم أن مجتمعات المسلمين لها النصيب الأوفر من هذه الأرقام.

وما من شك أن كثيرا من هذه الأوضاع المؤلمة، التي لا يرضى عنها الله تعالى لأمة الإسلام، هي نتيجة أسباب تعود إلى الأمة نفسها. ومن الأسف البالغ أن هذه الأمة تعيش اليوم في

عالم يمتلئ بالكراهية والحقد، وتعاني؛ إضافة إلى التخلف والفقر والمرض، من ويلات الحروب المدمرة، التي تحصد الأعداد الوفيرة من أرواح المسلمين.

إنه لأمر مذهل حقاً أن تذوق العديد من المجتمعات الإسلامية الثمرات المرة للحضارة المعاصرة أكثر من أن تذوق حلوها، وتقتبس سلبياتها قبل إيجابياتها، فتأخذ من القيم المخلة التي تنخر أجيال شباب هذه المجتمعات أكثر مما تأخذ من خبرات تلك الحضارة في مجالات تسخير المادة والفتوحات في الطب والتقنية. ولكن أنّى لهذه الأمة أن تيأس من روح الله عز وجل إن هي عادت إلى سيرة سلفها الصالح؟

إن الناظر لهذه الصحوة العامة المباركة، وإلى إرادة الخير التي تعم الأمة الآن، وروح البذل والعطاء التي تطبع أهل الخير؛ وبخاصه في أرض الجزيرة العربية؛ تكافلا مع إخوانهم في بقاع الأرض، لتحي القلوب بالأمل كما يحي الماء الأرض الجرز.

ويجب أن يتذكر شباب هذه الأمة الصالحون أن أجدادهم من تلاميذ مدرسة النبوة حملوا للبشرية راية الخير والمحبة لأرجاء المعمورة، منذ بزوغ شمس الإسلام، بالحكمة والموعظة الحسنة وحب الخبر للناس بغض النظر عن معتقداتهم وأجناسهم وألوانهم.

وبهداهم يقتدي العاملون في حقل العمل الخيري والإنساني الآن، لقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يكون حب المساكين والمستضعفين، والسعي على الأرملة والفقير واليتيم، حبا لله تعالى وتقربا إليه، بعيدا عن أية أغراض دنيوية زائفة. ولله الحمد والمنة لقد أورقت شجرة العمل الخيري بأصل ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها بإذن ربها، وتعددت مظاهره ومؤسساته، وكثر المقبلون عليه. ثم تأتي جائزة الملك فيصل –رحمه الله تعالى– لخدمة الإسلام، شهادة براءة وطهارة مما يحاول البعض أن ينسبه للعمل الخيري والإنساني الإسلامي عامة من مقاصد تسيء إلى صورة الإسلام والعاملين له. "وما كان لله دام واتصل، وما كان لغيره انقطع وانفصل".

أيها الحفل الكريم:

إن لي وقفة مع هذه الجائزة –التي نسأل الله تعالى أن تكون حافزًا لبذل المزيد من الجهد والعمل، إرضاء له بخدمة الإنسانية– لأذكر بالخير ذكرى وفاء للملك فيصل –رحمه الله– الذي قام

برحلة الخير المعروفة في أفريقيا، وكان من الرواد السياسيين في إعادة بناء العلاقات وجسور التعاون مع القارة الأفريقية المنسية. ثم جاء من بعده من حمل اللواء من إخوانه –حفظهم الله تعالى– ليواصلوا العطاء من أرض النبوة لأعمال الخير في مجاهل هذه القارة مساجد، وآبارا، ودورا للعلم والرعاية الاجتماعية... وغيرها من صنوف الخير الوفيرة. وها هي مئات الآبار الارتوازية التي حفرها من بعده من ولاة أمر هذا البلد تنضح بالخير كل يوم على امتداد الصحراء الأفريقية.

ولا غرو في ذلك، فقد سبق الأجداد إلى هذه المجاهل. ومن الشواهد على ذلك اكتشاف مسجدين يعود بناؤهما إلى (1300) سنة خلت في جزيرتي "بمبا" و"باتي" في شرق أفريقيا، وقبر شخص اسمه "سلام بن صالح" توفي في زمبابوي سنة (94) للهجرة. وهناك العشرات من القبائل ذات الأصول العربية، التي استوطنت مناطق مختلفة في أفريقيا منذ أكثر من ألف عام، وإن كان كثيرون منهم للأسف فقدوا هويتهم الإسلامية. وهذا يدحض المزاعم التي تُزور تاريخ العرب في أفريقيا، وتصوره مجرد تجارة للعبيد، وسفك لدماء الأبرياء. وهذا تأكيد لعمق الجذور العربية والإسلامية لا في أفريقيا وحدها، ولكن في أماكن كثيرة غيرها.

وعود إلى هذا التكريم لأقول للمكرمين ولكل من ساهم في الاختيار جزاكم الله عن الإسلام والمسلمين كل خير، وسنحفظ –باعتزاز بالغ– في قلوبنا، حسن ظنكم بنا.

وجزى الله كل خير أولي الأمر بهذا البلد الطيب، وحفظ أبناءه وسائر بلاد المسلمين من كل سوء، ووفق قادة الأمة لكل خير، ويسر لهم البطانة الصالحة لتعينهم عليه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.